أسس وأهداف التثاقف في فكر الأستاذ محمد فتح الله كولن

د محمد حمد محمد أحمد الأمير*

مقدمة

أدخل الانثربولوجيون مصطلح التثاقف في قواميس علم الإنسان في نهاية القرن الماضي.ويعني هذا المصطلح التبادل والاحتكاك، والتأثير الثقافي، بحيث تتبدل المسالك الثقافية والنماذج الثقافية والاجتماعية عند أحد الأطراف المتفاعلة أو عند الاثنين معا[1].يأتي مصطلح التثاقف على النقيض لمفهوم الصدام والصراع الثقافي الذي أدخله لحقل العلوم الاجتماعية هنتجتون صاحب نظرية صدام الحضارات.

ومن الملاحظ في الفترة الحالية شيوع نظرية صدام الحضارات بين عدد كبير من علماء الاجتماع السياسي . هذه النظرية تفترض وجود علاقة جوهرية لا توافقية بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى غير الغربية. وتتوقع النظرية حروباً حضارية حتمية نتيجة عدم التوافق بين الذات والآخرون، سواء كان الآخرون الأدنى فكرياً ، أو الآخرون الغرباء سياسياً واقتصادياً. تصور نظرية صدام الحضارات العالم الغربي ككيان رفيع تحيط به مجموعة حضارات محتلفة عنه بل ومعادية له هي:الصينية، اليابانية، الهندوسية، الاسلامية، الأمريكية اللاتينية، الأفريقية. وأنّ احتمال قيام صدام بين هذه الحضارات أمر حتمي ، وذلك نتيجة للتباين والتنافر الديني واللغوي والعرقي بين هذه الحضارات. وقد اكّد هنتجتون بأنّ الصراع والصدام بين الحضارة الاسلامية والغرب أمر حتمي وأنّ هذه الحتمية تأتي من طبيعة الاسلام الدموية الإرهابية[2].

إنّ مفهوم صراع الحضارات والذي أبرزه هنتجتون يمكن إرجاعه تاريخياً إلى الفكر الماركسي حيث ذهب الماركسيون في وصف وتحليل عمليات الصراع والنزاع إلى إعطائها بعداً تاريخياً معتبرين أن الصراع الطبقي هو أساس تقدم البشرية. وأنّ النزاع الطبقي ملازم في رأيهم لتاريخ البشرية، ويقوم على تباين المصالح الاقتصادية. هذا الصراع هو الذي يميز تاريخ المجتمعات الإنسانية ويدفع إلى التطور التاريخي والتغير الاجتماعي . فالتغير الاجتماعي في نظر ماركس لا يكمن في الأفكار والقيم بل حوافز التغير تتمثل في المؤشرات الاقتصادية.وعلى هذا الأساس رسم لوحه لحركة المجتمعات البشرية سماها اللوحة الخماسية.هي: المشاعية، العبودية،الإقطاع، الرأسمالية، والاشتراكية. ومن خلال الصراع انتقلت البشرية عبر هذه المراحل الخمس. فالخروج من دائرة المشاعية البدائية الى دائرة العبودية حصل من خلال صراع نشب اثر تشكيل الملكية الخاصة فتطورت الى ملكية الأشخاص. ثم تابع الصراع الطبقي مسيرته فأفرز الاقطاعية ثم الرأسمالية وأخيراً الاشتراكية، حيث انتهى الصراع وزالت الطبقات تلقائياً.[3] تتميز كل الأنظمة عدا النظام الاشتراكي بطابعها الصراعي بين الذين يملكون والذين لا يملكون.

---

* أستاذ مساعد – كلية الدراسات التنموية -جامعة الجزيرة .

[1] Fredrek Maatouk.Dictionary of sociology, Academia, lebanon1993

[2] عبد الله صالح ابوبكر, حوار الحضارات: تحليل نقدي لظاهرة الاسلام فوبيا.هيئة الأعمال الفكرية, الخرطوم, الطبعة الاولي 2002م

[3] Fredrek Maatouk ,Dictionary of sociology. Edited and revised by Mohamad Debs, Academia, lebanon1993

وعلى هذا فإنّ أسباب الصراع حسب النموذج الصراعي كثيرة أهمها: تضارب المصالح، الاختلافات الفكرية والعقائدية أو التصادم الايدولوجي الذي يقوم على أساس مصالح متنافرة.

وكنتيجة لتفشي وسيادة النموذج الصراعي أصيبت الأمة الإسلامية بداء الاختلاف. ذلك الداء الذي شمل كل مجتمع وضم في دائرته البغيضة الفكر والرأي والسلوك والنمط الحياتي والأهداف والغايات، وأصبحت المجتمعات الاسلامية متصارعة في كثير من أوقاتها، وكأنّ كل ما لدى هذه الأمة من أوامر ونواهي وتعاليم يحثها على الأختلاف .

كما برزت ظاهرة الخوف من الإسلام ، إذ أصبح الإسلام يعرف بالخطر الأخضر وإنه دين حربي فقط. أما الأثر الإنساني المجتمعي هو أن المسلم والمجتمع المسلم أصبح مرادفاً للإرهاب.

وعلى عكس فرضية هنتجتون التي ترى أنّ التباين الثقافي يقود بالضرورة الى الصدام الثقافي فإنّ البحث يفترض أنّ التنوع الثقافي الناتج عن تجاور الثقافات وعن تداخلها بفعل إرادة ومصلحة الإنسان، ليس مصدر صدام كما ذكر هنتجتون ، وإنما مصدر إغناء بكل معنى الكلمة بالنسبة للبشرية جمعاء. فلولا التنوع الثقافي، القاضي بتبادل الخبرات والمعارف والمسالك لما تقدمت البشرية، حيث إنّ تجاور مجتمع مع مجتمع أخر يؤدي إلى تلقيح بعضهما بمعارف وخبرات كلاً من المجتمعيين. إنّ التنوع الثقافي هو ميزة الإنسان على الأرض دون سواه، وأنه سمح للإنسان بقطع الأشواط المعروفة عنه في التقدم الحضاري. فكل مجموعة بشرية تعلم الأخرى وتتعلم منها ضمن ديناميكية التبادل الثقافي. إنّ التباين على مستوى اللغة والدين والثقافة لا يمكن أن يكون مدعاة للصراع أو الصدام ، وذلك لأنّ الميل للاجتماع الإنساني ميل طبيعي امتلكه الإنسان منذ بدء الخليقة بغض النظر عن تباين اللغة والأديان، وبذلك لم يوجد ما يدل على وجود إنسان عاش بمفرده ، فالدلائل تشير إلى أنه كان وما زال مجتمعاً ومتفاعلاً مع غيره من أبناء جنسه سواء كان بسيطاً أو مركباً.

فمنذ النشأة الأولى الفطرية ما زالت تخامر عقول البشر ، فكرة التآلف والتناصر الهادف إلى التفاعل والتعاون القائم على إشباع الحاجات الإنسانية "لم تزل فكرة التآلف والتناصر تخامر عقول البشر منذ النشأة الأولى وذلك بغرض إسعاف بعضه بعضاً بمكملات ما يعجز عن نواله" [4].

فالإنسان مفطور على الانتماء لأبناء جنسه ، وأنه مدني بالطبع ، وهذا يعني أنّ التبادل والتعاون مرتبط بعجز الإنسان عن استكمال وجوده وحياته.

إذن الميل للاجتماع تدفعه عوامل فطرية راجعة إلى تكوين الإنسان البيولوجي والنفسي، بغض النظر عن رابطة اللغة والدين والثقافة."إنّ الإنسان مدني بالطبع ، أي محتاج إلى التجمع والتحبب للتمكن من الاستنجاد عن احتياجه إلى النوال والدفاع"[5] .

---

[4] ابن عاشور : أ صول النظام الاجتماعي في الإسلام،قراءة وتخريج محمد الطاهر الميساوي ، ط1 دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن، 2001م ص 171 .

[5] ابن عاشور . المصدر نفسه. ص 171 .

إذن الحياة الاجتماعية - ضرورة إنسانية للإنسان شاء أم أبى وهذا ما أكده ابن خلدون حيث يقول إنّ الحياة الاجتماعية ظاهرة طبيعية ؛ فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون مجتمع أو سلطة تنظم حياته الاجتماعية[6].ونتيجة للضرورة الفطرية وإشباع الحاجات الأساسية تشكَّل المجتمع الإنساني وتطور من الأبسط شكلاً إلى الأكثر تعقيداً ومن المتجانس إلى غير المتجانس.وعليه فإنّ حالة الاجتماع والتعاون هي أساس تشكيل التفاعل والعمليات الاجتماعية وأنّ الصدام هي الحالة العرضية.

وقد أكّد محمد فتح الله صحة الفرضية السابقة ودعى الى ضرورة التثاقف والحاجة اليه ووضع له أسس وأهداف.

أسس التثاقف عند كولن:

1.**الصدق:**

الصدق وتحري الحقيقة بعيداً عن الكذب والسفسطة والأوهام من أولى أسس التواصل الثقافي والتفاعل البشري.ولقد ساق القران الكريم ألواناً من المحاورات التي دارت بين الرسل وأقوامهم ، وبين المصلحين والمفسدين ، وعند تدبرها نرى الأخيار فيها لا ينطقون الا بالصدق الذي يدمغ الاكاذيب وبالحق الذي يزهق الباطل.

2.**المساواة بين الذات والآخرين:**

يفترض الأستاذ أنّ المساواة وتوافقاً بين الذات والآخرين تقود إلى المحبة والتسامح والحوار. إنّ الإنسانية عند فتح الله كولن ترفض قطعياً اعتبار الآخرين نقيضاً جدلياً. وبدلاً من ذلك فإنه يؤكد أن التمييز بين الذات والآخر لا يمكنه إلا أن يكون هدفا للتواصل الثقافي بطريقة تحمي وتُقوي روحانية الواحد ضد نفسه الأنانية والتبعية الأهوائية، التي تخلق صراعاً مستمراً مع الآخرين.إنّ فتح الله كولن في الحوار ينظر إلى البشرية كوحدة مكونة من "الذات والآخرين" وكموضوع للمحبة والتفاعل[7]. وبالتالي فإنّ منهجه في التثاقف يمكن أن يكون بديلاً للمدخل الصراعي أوالصدامي لهنتجتون. بالنسبة له يشكل التثاقف نشاطاً ترابطياً بين ثقافتين أو أكثر. ولا يمكن لهذا الترابط أن يتم إلا بوضع الإنسان في محور هذا النشاط. وبالتالي يصبح التثاقف في معناه الحقيقي، امتداداً روحياً وواقعياً للإنسانية. على أنه لن يتحقق إلا عن طريق الاحترام المتبادل والتسامح والحب. لقد أدرك كثير من الناس، في عالمنا المعاصر، الحاجة الماسة للتبادل والتواصل الثقافي من أجل تعايش سلمي.

3

. **الحرية:**

إنّ الأستاذ يعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ حرية الفكر والرأي والعقيدة والفهم والتأويل من أهم نعم الله على الإنسان فهو إذ يتواصل مع الآخرين يتقبلهم كما هم دون إكراه أو احتقار أو إقصاء،بل ويعتبر الحرية بالنسبة للإنسان هي الارتباط بالفكر الحق وهي التي تحرر الفكر الإنساني من كل قيد يمنعه من الرقي المادي والمعنوي[8]. هذه المعاني السامية هي

---

[6] السيد علي شتا. ظاهرية علم الاجتماع الإنساني عند ابن خلدون. المكتبة المصرية ، الإسكندرية، 2001م.

[7] محمد فتح الله كولن :الموازين أو أضواء على الطريق ، ترجمة أورخان محمد علي. النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2012م، ص 186.

[8] محمد فتح الله كولن :الموازين أو أضواء على الطريق ، ترجمة أورخان محمد علي. النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2012م ، ص 96.

انعكاس لنور القرآن في مرآة قلب الأستاذ، فالله تعالى يقول [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ] (البقرة :256) وقوله تعالى :[فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ 21 لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ22] (الغاشية :21-22) والحرية تتضمن مراعاة الخصوصيات الثقافية وإعطائها ما تستحق من الاحترام والتقدير والتقبل طالما هي حق مشروع وسنة حضارية. ومن هذا الحوار المبني على الحرية واحترام الآخر يجب أن ينبثق مجتمع عالمي جديد قوامه التفاهم والاحترام المتبادل. ولقد نجحت الثقافة الإسلامية تاريخياً في التسامح مع جميع الثقافات والتعايش السلمي معها، انفتاحاً عليها وافادة منها, وبالمقابل فقد مدت جسورها لسائر الثقافات[9].

وفي هذا لم تكن هناك عملية لإكراه أي أحد للدخول في الثقافة الاسلامية، فالإكراه يعني الانحراف في عمليات التفاعل الثقافي. والتاريخ شاهد على أنّ التثاقف بين المسلمين وغير المسلمين تم بشكل ودي، اذ لم يقم أحد بإكراههم على الدخول الى الدين الاسلامي ،إذ كانوا يقيمون شعائرهم الخاصة، ويحافظون عليها[10].

4.حسن الظن بالآخر وحسن القول معه

يقول الأستاذ علينا الحرص على ضم القريب وتقريب البعيد ، وهذا لا يتحقق إلا بحسن الظن وحسن القول مع الناس.فليس علينا سب الناس واغتيابهم وإهانتهم قولاً أو فعلاً[11]. وذلك لانّ عدم حسن الظن بالناس سيكون سبباً في ابتعاده عنا أكثر فأكثر.إنّ الأستاذ شديد الحساسية تجاه هذا المرتكز لأنه يعلم علم اليقين أن سوء الظن يؤدي إلى نتائج مدمرة على مستوى العلاقات الإنسانية، أما حسن القول فهو يفتح القلوب ويخاطب العقول ويقدر المشاعر دون امتهان أو اتهام أو احتقار.

5.احترام الإنسان وتوقيره

يجب أن يتأسس التثاقف على احترام الانسان وتوقيره وابداء الحب لكل شيء والتعامل بكل مرونه وتساهل مع العالم, وعدم ربط المشاعر والأفكار والسلوك باحاسيس العداوة والبغضاء والسعي الجاد لتقوية عاطفة الأخوة والصداقة, ولو استطعنا تحقيق الأخوة والصداقة بين أفراد هذه الأمة لاستطعنا تجاوز الكثير من مشاكلنا والعقبات الكبيرة والضخمة. يقول الأستاذ كولن أنّ احترام الإنسان وتوقيره من موجبات الانسانية ومن ضروراتها ،وحب الإنسان شرط من شروط القرب من الله تعالى ومن الخلق. والذين يستهينون بالناس بتصرفاتهم أو بأقوالهم يفشون في الحقيقة مستواهم الخلقي. بينما أصحاب الخلق الرفيع هم من المتواضعين على الدوام ، يهبون نسيماً في كل مكان وهم يعدون أن احترام الانسان ومحبته من أفضل الأشياء وأثمنها. وأمثال هؤلاء ينذرون حياتهم من أجل حياة الأخرين ومن أجل سعادتهم بكل همة وعزم[12].

6.المرونة تجاه الآخر

أمر القرآن باتخاذ موقف لين تجاه أهل الكتاب وحتي الكافرين، وقد أمر الله سيدنا موسى عليه السلام أن يقول كلاماً ليناً لفرعون. لذا فلا مكان أبداً في الاسلام للكلام الخشن أو اللوم العنيف في الحوار. والآية أنموذج بليغ للكلام اللين

---

[9] اسحق بن عبد الله السعدي. أصالة الثقافات ومستقبل الثقافة الإسلامية, مجلة حراء, عدد 33 , 2012م اسانبول, ص15.

[10] محمد فتح الله كولن ، أسئلة العصر المحيرة، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م، ص242.

[11] كولن ، محمد فتح الله ،طرق الارشاد في الفكر والحياة.ترجمة احسان قاسم الصالحي. دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 2009م.

[12] محمد فتح الله كولن :الموازين أو أضواء على الطريق ، ترجمة أورخان محمد علي. النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2012م ، ص 47.

القريب من القلوب والجذاب . يجب استقبال الآخر بوجه بشوش وكلام حلو جميل. وهذا الأسلوب الحواري المبني على اللين وسعة الصدر يؤسس جسراً بين المسلمين وغيرهم من الثقافات والحضارات المستندة الى مفاهيم مختلفة وأديان مختلفة ورؤى فكرية مختلفة ويدعوهم الى ما يسمى الصلح والتآلف في اطار الرحمة الواسعة الشاملة[13].

إنّ السماح من صفات المسلم،وإنّ ايصال الحقائق الى القلوب يتم عن طريقه. وعلى عكس سلوك الخشونة والحدة، فإنّ السماح والعفو بمقدوره أن يذيب العديد من جبال الثلج ويفتح القلوب المتحاورة[14] .

7.معرفة المستوى الثقافي والاجتماعي لمن تحاوره

من المهم معرفة المستوى الثقافي لمن تخاطبه لكي تستطيع التحدث معه بالمستوى الذي يفهمه. ومن المهم هنا استعمال لغة يفهمها المخاطب عند التفاعل معه. إذن حتى لا يكون التواصل تواصل طرشان, يجب استعمال الأسلوب واللغة والكلمات والمصطلحات المناسبة .

8.الإحاطة الجيدة بموضوع التواصل الثقافي

من الأمور الجيدة ، والتي تساهم في نجاح التثاقف، هو الإلمام بموضوع التفاعل الثقافي. إن كنا غير ملمين بالموضوع الحواري فإنّ هذا يؤدي الى انطباع سلبي ويجعل الناس ينأون بأنفسهم عن الدخول معنا في إي حوار.

بهذه الأسس خاض الأستاذ محمد فتح الله كولن تجربة رائدة للحوار والتناظر والنقاش العميق بين مختلف التيارات الفكرية والمرجعيات الثقافية ، وفتح نافذة للتواصل والتفاهم مع أتباع الديانات على المستوى الإقليمي والدولي، وقد لقيت مبادراته الكثيرة قبولاً من طرف الداخل والخارج .

أهداف التثاقف

1. **الإجماع وتأسيس الوعي الجمعي**

الخلافة الإسلامية ظلت رائدةً للعالم الإسلامي ومثلت الحامي لبيضة الإسلام أكثر من خمسة قرون، ومثلت الوحدة الإسلامية كأعلى ما يكون التمثيل ، وحمت راية الإسلام بعد سقوط الأندلس ، ولكن الاستعمار مزق العالم الإسلامي وما زال إلى الآن واستطاع أن يبث الفكر العنصري بين كثير من الشعوب مما أدى إلى زيادة التمزق[15] وقد اختلف المسلمون لبعض الأسباب العارضة وفسدت وحدتهم ، وهكذا انهزمت الوحدة والائتلاف أمام الاختلاف[16]. وتخريب الوحدة الدينية والاجتماعية والفكرية وتهيأت أرضية للخلاف والخصام.

في ظل هذا التشرذم والتمزق الذي أصاب الأمة الإسلامية- نحن في حاجة إلى فكرة الإجماع والوعي بأهميته . ولا يتحقق ذلك إلا بالتثاقف والتواصل الفعال بين أبناء الأمة الإسلامية ، والتوافق على العناصر المشتركة . والتي هي كثيرة : فالرب واحد ، ورسولنا واحد ، وكتابنا واحد ، وقبلتنا واحدة وطريقنا واحد. وعليه يجب أن نؤسس إجماعنا على هذه الأسس المشتركة . إنّ الدعوة للحوار التي قادها فتح الله كولن الآن تقوم بتجميع الأوصال وربط الصلات والتأسيس

---

[13] محمد فتح الله كولن اضواء قرانية, مصدر سابق.

[14] كولن ، أسئلة العصر المحيرة، مرجع سابق ، ص239.

[15] الأنصاري, فريد. رجال ولا كأي رجال.دار النيل,القاهرة, 2013م, ص78

[16] محمد فتح الله كولن ، أضواء قرآنية في سماء الوجدان, 2006م.النيل للطباعة والنشر, القاهرة. ص74

لوعي جمعي إسلامي إنساني. فقد شجع الأستاذ على عدة أعمال تربوية من شانها مد الجسور بين شرائح المجتمع المتباينة. مثل بيوت الطلبة، المدارس ، صالات المطالعة والمراكز الثقافية، دور النشر الثقافية، المعسكرات الايدولوجية للمثقفين من مختلف المدارس الفكرية: يساري، علماني، ليبرالي، إسلامي وغيرها. إضافة إلى الأعمال السابقة، فقد أطلق الأستاذ نداء أو دعوة سماها(**تعالوا**) إذ جمع بهذا النداء عدداً كبيراً من التيارات الفكرية المتباينة في الطرح والتي بينها حواجز وانقسامات وجُدُر نفسية وعدم ثقة. أهمها التيار الإسلامي والشيوعي والليبرالي.

وقد طرح عليهم الأستاذ فكرة أن نتفق في الحد الأدنى على القواسم المشتركة ، تعالوا نضع قائمة للقواسم مثل: الوطن ، واحد الأرض واحدة، القدر واحد ، كلنا يريد الخير لهذا البلد وغيرها من القواسم المشتركة . وأن ننطلق من هذه القواسم المشتركة من أجل البلد.

وفي إطار البحث عن المشترك فقد نظم الأستاذ زيارات ودية إلى رؤساء التيارات الفكرية، إذ كان دائماً يقول كن كالفرجال بمعني إحدى قدمي ثابتة في جذوري الثقافية، والقدم الأخرى تتحرك بحرية في كل مكان تبحث عن قواسم مشتركة[17].

وكان من نتائج النداء الذي اطلقه الأستاذ ما يلي:

- أصبحت هذه الأنشطة الحوارية مؤسسات، كمثال لذلك (وقف الصحافيين والكتاب) والذي نظم عدة منتديات منها ، منتدى حوار المثقفين فيما بينهم، منتدى حوار الأديان والثقافات والحضارات، منتدى حوار الصحافيين والإعلاميين.

-اكتشفت التيارات الفكرية المتباينة أنّ هناك ميادين ومساحات واسعة للتعايش والتحاور.

-نشأت نخبة فكرية اجتماعية ديمقراطية تعترف بالآخر وترى ضرورة الحوار معه لأنه شقيقها.

-نشأت جمعيات للحوار داخل وخارج تركيا، في أمريكان استراليا، وكلها جمعيات للتواصل مع المسلم والانسان غير المسلم للبحث عن قواسم انسانية يمكن إقامة مشاريع عليها لخدمة الجميع.

2. **منع الظلم والاعتداء ونشر الأمن:**

يجب أن نطور بعض المشاعر المركوزة في الطبيعة الانسانية وترويضها بواسطة الايمان وإشاعة جو الحوار بين الناس و حتي يكون الانسان بعيداً عن التخريب والاعتداء. وحتي لا تكون الدنيا ساحة للمتحاربين والمتجاوزين حدودهم والمعتدين ، لابد من التأسيس لقيمة التواصل الثقافي المبني على الإنصاف والمحبة[18].

3. **تقوية الرابطة الإنسانية بين أفراد المجتمع البشري :**

هناك عدة روابط اجتماعية ودوائر ثقافية ينتمي اليها الأفراد والجماعات أهمها: رابطة الأسرة والقبيلة والمكان الجغرافي والدين والإنسانية.وان كل هذه الروابط تعتبر صالحة مالم تتناقض مع رابطة الإنسانية.

فرابطة الأسرة والقبيلة والمكان والجوار والدين لابد أن تتأسس على رابطة أوسع ولعلها هي رابطة االانسانية ، فالقبيلة والأسرة والعرق كلها روابط آيلة للاضمحلال والسقوط إذا لم تكن جزءاً من الرابطة الانسانية لأن الرابطة الانسانية تمكن من الارتقاء بالمجتمع الإنساني وتحميه من السقوط والانهيار؛ إذ أنها تخضع الجماعات الإنسانية كلها لنظام موحد يرتفع فوق التناقضات السلالية والعرقية.

---

[17] نوزاد طواش. الحوار الثقافي والحضاري عند الاستاذ محمد فتح الله كولن

[18] كولن ، أضواء قرآنية في سماء الوجدان، مصدر سابق ، ص80

إنّ الناس قد جعلوا أواصر القبيلة أسباباً للتخالف والتفرق والتقاتل[19] وما دامت هذه الروابط تنشئ علاقات اجتماعية تتميز بالصراع والانقسامية والتصادم - فالأحرى بالاجتماع الإنساني أن يتأسس على رابطة أقوى وأوسع تمتص التناقضات وتنمو في إطارها ثقافات وعادات متنوعة ولكنها متوحدة ومنسجمة في إطار رابطة الإنسانية. ويعتبر الإنسانية أغلى شيء في الكون. فهي، كما يرى، الأستاذ مرآة لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا.وقد وُهب الناس بالتساوي القدرة على عكس صفات الله وعلى تطوير تميّز عظيم. وبالتالي فهذا التساوي واقع بغض النظر عن الدين أو العرق أو الثراء أو المكانة الاجتماعية.الا أنّ هذه القيمة (قيمة الانسانية) لا يمكن ايجادها إلا بإشاعة التثاقف الفعال بين الناس.

4. **إبراز معالم الدين الاسلامي الصحيحة:**

إنّ الغرب قلما يتذكر الدور الأساسي الذي لعبته الحضارة الاسلامية والتي كان يتواجد أحد مراكزها في اسبانيا. وإنّ الناس في الغرب لا يعرفون مدى تقدم الحضارة الاسلامية في ذلك العصر. لقد قدمت هذه الحضارة للعالم معارف جديدة في مجال العلم والفلسفة والقانون والأدب والطب وغيرها من العلوم. كما إن بعض الناس في الغرب لا يتذكرون إن التسامح قد كان من مميزات هذه الحضارة, ذلك أنّ فترة اوج الحضارة الاسلامية هي الفترة التي عاش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون جنباً الى جنب في سلام ، باسبانيا وببلدان أخرى في العالم الاسلامي.

إنّ الغرب اليوم جاهل بالأخر المسلم ، وإنّ الإسلام الهوية والعقيدة متهم بالإرهاب، وعليه فإنّ الفهم العميق والصحيح للاسلام وإبراز معالمه بشمولها وهيمنتها،وبيان أركانه ورسالته الخالدة التالدة بأهدافها ومقاصدها، لا يتم الا بعرض وتقديم الاسلام بطريقة صحيحة.

لقد أصبح الإسلام متهماً بأنه دين إرهاب وصراع ونزاع.ومن أجل تغيير هذه الصورة النمطية عن الاسلام وتقديم صورة الاسلام النقي الراقي فقد تصدى الأستاذ لكل الأفكار التي تشوه الاسلام، مثل فلسفة صدام الحضارات. انبرى الأستاذ لمد جسور التواصل والحوار وفتح قنوات الحوار بين جميع التوجهات والافكار، وذلك بهدف إبراز معالم الإسلام الأساسية والانتقال من ذهنية الصراع الى ذهنية التعايش. يقول الأستاذ:"إنّ شعوب العالم لفي حاجة إلينا نحن معشر المسلمين،إذا نحن مثلنا ديننا وحضارتنا حق التمثيل، ونحن لا عذر لنا اليوم في عدم التواصل الإيجابي مع الآخر، وعرض نموذجنا الإسلامي الراقي،في أسواق العالم الثقافية.

5. **القيام بواجب التبليغ والدعوة إلى الحق**

إنّ الأستاذ يعتبر حوار الحضارات بما هو تواصل وتحاور وتناظر مع أصحاب الأفكار والنظريات الأخرى سوء أكانت سماوية أو وضعية إنما هو قيام بواجب التبليغ والدعوة إلى الحق ، بل ويعتبر هذه المسؤولية جهادا :" ولا يخلو مجتمع أو أمة -في أي عصر من العصور- ممن هم بحاجة ماسة إلى الإرشاد والتبليغ. لذا فالمؤمنون الذين يعيشون مع هؤلاء الذين يجوبون في وديان الضلالة ويبحثون عن طريق للخلاص ويضيّعون حياتهم في سبيل العدم، مضطرون إلى أداء فريضة الجهاد مع هؤلاء الذين يشاركونهم العيش في سفينة الحياة الواحدة. فهذا فرض في أعناقهم من حيث كونهم بشرًا. ومن جهة أخرى فهو فرض ألقاه الله عليهم وكتبه لهم. فكل إنسان مكلف بأداء هذه الفريضة ضمن إطار موضعه وموقعه وأحواله، وحسب إمكاناته وطاقته. وبخلافه يكون حسابه عسيرًا يوم الحشر الأكبر" ، ولذلك نجد الأستاذ ينوه

[19] ابن عاشور ، أ صول النظام الاجتماعي في الإسلام ، مرجع سابق، ص 10.

بأولئك البشريون المتميزون الذي يتحملون أداء هذه الأمانة بقوله:" ومع أن ممثلي هذه الرسالة السامية – التي تتطلب شعوراً بالغاً بالمسؤولية وإرادة مكينة وشخصية متينة- مع أنّ هؤلاء بشر من أمثالنا ... لكنهم بشر يختلفون ويتميزون عن غيرهم في قوة عزمهم وإيمانهم، وحدة استقامتهم وعلو أمانتهم، وغاية شعورهم بوظيفته، وشدة حرصهم على رضا الحق تعالى وثبات مواقفهم....وولعهم بدعوة الناس إلى الصراط المستقيم، كأنها غريزة فيهم، فلا يقر قرارهم ولا يعرفون سكوناً إلا الإرشاد [20].

6. **تغيير الصورة النمطية للمجتمع المسلم و بناء مجتمع أنساني:**

يوصف الإنسان المسلم اليوم, بعدة أوصاف سلبية.فقد وصف بأنه إرهابي قاتل لأبسط الأسباب, غير موضوعي, وغير عقلاني, جاهل لا يعيش التحديث ولا يشارك فيه. هدا الوصف للمسلم يمكن أن ينطبق على المجتمع المسلم أيضاً. ولتغيير تلك الصورة عن المجتمع المسلم, فقد وضع الأستاذ نموذجاً مثالياً للمجتمع المسلم الانساني, يقوم على الآتي:

"مجتمع يستمد قيمه الثقافية من الاسلام المنفتح والمتفاعل ايجابياً مع حاجات الانسان ومتطلباته، والذي يتناول الحياة كلاً متكاملاً ويفسرها ويقومها بقيمه وهو يفسر أجزاء الحياة دوماً مرتبطاً بالواقع ولا ينادي باحكامه في وديان الخيال بمعزل عن الحياة"[21].

"مجتمع آمر بالمعروف وناهي عن المنكر ويدعو الناس إلى فعل الخير ويكون مثال الصدق والأمانة. وبهذا تقل الانحرافات الاجتماعية. واذا تناسى المجتمع وظيفة الامر والنهي عن المنكر فاقرأ عليه السلام فقد انتهى امره"[22].

مجتمع تبنى العمليات الاجتماعية فية على المحبة والشفقة والكلام الطيب بدلاً عن القسوة والقتل والصراع.يقول الأستاذ "المنتظر منا اليوم حفض جناح الرحمة والشفقة على الجميع ومتى ماتحقق هذا فقد تخقق اذن عمل مهم تنتظره الانسانية".

"مجتمع يتاسس على قيمة الأخوة. فاالمسلم يسعى الى قضاء حوائج إخوانه المسلمين." المسلم أحو المسلم لا يظلمه ولايسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة".ولكي يتحقق هذا النموذج ، طرح الأستاذ فكرة التواصل الثقافي الإسلامي مع الكل.

7. **رسم صورة جديدة للإنسان المسلم**

إنّ الانسان هو الأساس والمنطلق وهو الهدف والغاية في مشروع الاستاذ محمد فتح الله كولن, ولابد من اصلاحه وتوفير الكرامة له حتي يبذل كل طاقاته لينهض بمجتمعه ووطنه وأمته. فاذا أردنا إصلاح مجتمعنا وبناء اجتماع انساني قوياً علينا أن نحل المشكلة في الانسان، علينا أن تحل الانفصام الذي حدث في ذات الانسان المسلم :العقل ذهب في اتجاه، القلب ذهب في اتجاه، والسلوكيات ذهبت في اتجاه. فمالم نوحد الإنسان ونحصل على هذا الانسان المتكامل، لايمكن أنّ نؤسِّس مجتمع متكامل.

---

[20] طرق الارشاد في الفكر والحياة ، دار النيل القاهرة.

[21] مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي, مؤتمر دولي ، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية. جامعة الدول العربية, القاعرة 2009م

[22] محمد فتح الله ، كولن، طرق الارشاد في الفكر والحياة. ترجمة احسان قاسم الصالحي. دار النيل للطباعة والنشر, القاهرة, ط3, 2009م، ص30.

ويضع الأستاذ تصوره للإنسان المتكامل أو الانسان الجديد والذي يأمل أن يخرج من مشروعه الإصلاحي كالاتي:

- إنسان يتماشى مع التطور المتسارع للعصر، للدخول بقوة في مجتمع المعرفة والمعلومات والمشاركة الفعلية فيه للحاق بركب المنجزات العلمية والتقنية الحديثة. "إنسان مالك لفنون العصر، وقاريء للقران، وقاريء للكون، إنسان يفكر ويعتمد على التجربة قدر اعتماده على العقل ، ايجابي في التعامل مع العصر ، ممتلي بالفكر ومحب للبحث.

-يحلول الوصول إلى الأفضل بالروح والبدن

-يوازن بين الدين والدنيا.

-يجمع بين العقل والقلب.

-يسعى دائماً لإسعاد الآخرين.

- يحدد موقفه وينشي ذاته على أساس الأخلاق الفاضلة التي تجعل من الإنسان شخصاً مثالياً.

- بطل البصيرة وفارس الادراك الذي تصدق علية حقيقة أنه خلق في أحسن تقويم والمتحلي بصفات ملائكية.

- يسأل باستمرار ، ويواصل التنقيب عن الحقيقة فتراه متوقد الذهن متوثب البحث عن أجوبة للأسئلة الكونية الكبرى.

- الواعي باستمرار بهويتة الثقافية وذاتيته المجتمعية[23]

وقد سعى الأستاذ الوصول إلي هذ النموذج من خلال عدة مشروعات، كانت نتيجة لدعوة الحوار التي أطلقها. ومن أهم هذه المشروعات ، بيوت الطلبه، والمدارس التي اطلق عليها جزر السلام.

كيفية غرس قيمة التواصل الثقافي:

إنّ الإصلاح الاجتماعي للمجتمع يبدأ بتغيير ثقافته وتغيير ثقافة المجتمع يكون بإعداد الإنسان بصورة تتفق مع ماهيته الفطرية التي خلق عليها ، ومن ثم فإنّ التغيير العقيدي والتصوري والفكري والاخلاقي ، يعتبر المدخل الرئيسي في رأي فتح الله لإحداث الإصلاح الاجتماعي [24]، عليه لابد أن يصاغ الفرد المسلم أولاً قبل وجود المجتمع أو عالم الأشياء ، حيث تعد الفكرة أن مولد الحضارة يبدأ بمولد الإنسان في ذلك المجتمع ورده لفطرتة الإنسانية السليمة ، تلك الفطرة التي أقيمت عليها الحضارة الأولى في البشر من توخي الصلاح ودرء الفساد واصابة الحق.

بناءً على السابق فإنّ غرس ثقافة التواصل في المجتمع يتم عبر تربية الإنسان المسلم داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي أسسها الأستاذ، وهي كثيرة أهمها: المدارس، المعسكرات، دور النشر, المنتديات الثقافية ، وقف الصحفيين والكتاب، جمعيات الحوار ، وغيرها من المؤسسات.

إشارات ختامية:

من ثم وعندما نتأمل العلاقة بين الحضارة والمجتمع نجد أنّ حلقة الوصل الأساسية هم الأشخاص . فالتقدم نتاج رجال يتمتعون بالقوة والإرادة الخيرة. معنى هذا أنّ أهم عامل من عوامل التقدم هو الإنسان العبقري ، فالبشرية لا تفعل شيئاً إلا من خلال المبادرات التي تأتي من المجددين والمبتكرين[25].

---

[23] سمير بودينار: فلسفة التعليم : السباحة في المجال الحيوي (مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله)2009م، ص 336.

[24] كولن،محمد فتح الله ،نحن نبني حضارتنا، دار النيل القاهرة 2011م ص 34.

[25] محمد أحمد إسماعيل ، المثقفون العرب والتنمية الذاتية ، مجلة الوحدة ، المجلس القومي للثقافة العربية ، المغرب ، عدد 66 ، 1990م ، ص 111 .

وحين نتأمل دور المفكر في إطار ظاهرة العمران والحضارة نجد أنّ عوامل التحضر والتقدم والارتقاء هي عوامل بشرية ترد إلى صميم الإنسان ذاته ، وإلى فعل قواه الإيجابية، وهنا يتداعى إلى الخاطر قول ابن خلدون "أعلم أن الله اعتمر هذا العالم بخلقه ، وكرم بني آدم باستخلافهم في أرضه ، وبثهم في نواحيها لتمام حكمته"[26].

ومن المستخلفين نجد فئة "المفكرون" الذين يؤمنون بكفاءة الفكر وقدرته على مواجهة وحل مشكلات تنظيم المجتمع.إذ لابد لكل حضارة من مبدعين وقادة ، لأنّ إبراز قيمها الصحيحة يعتمد على قدرتهم وجدارتهم.فتاريخ الاجتماع الإنساني يحفظ دوراً خاصاً للمفكرين في مجتمعاتهم قاموا به و يتمثل في عملية بناء الحضارات الإنسانية وازدهارها والتنبيه لانحطاطها.ومن بين أصحاب الفكر الرفيع نجد الأستاذ محمد فتح الله كولن ، والذي عمل على تبصير الأمّة الإسلامية، ونشر الثقافة الإسلاميَّة بين المسلمين، والدعوة إليها، وتوعيتهم بما يجهلونه منها. كما دعا الى التواصل الثقافي مع الآخر. فعلى النقيض من الفلسفات الصراعية والصدامية دعا محمد فتح الله كولن إلى التثاقف الحضاري (التواصل الحضاري) بالتي هي أحسن والحكمة والموعظة الحسنة والجدل العقلي الرصين. وذلك لأنّ التثاقف الفكري الحضاري ضروري للاندماج الكوني والعالمي الطامح لمزيد من التعايش والسلام. ولهذا فقد اهتم فتح الله كولن بفكرة التواصل والتفاهم بين التيارات الفكرية المختلفة على المستوى المحلي ، وعلى المستوى الإقليمي والدولي وبين أتباع الديانات وأبناء الحضارات والثقافات المتعددة، ودعا إلى نهج التعارف والاحترام المتبادل والتسامح والتعايش ونبذ التعصب وإدانة العنف. ومدّ جسور الحوار مع الأمّة المسيحيّة فقام بزيارة الفاتيكان بدعوة من البابا، وأجرى معه حواراً مفيداً. وكان منهجه الانفتاح على الإنسانية بأسرها، وإبلاغ العالم كله بأنّ الإسلام دين الرحمة، ويدعو إلى الإخوة بين بني البشر، وأنّ المسلم لايمكن أن يكون إرهابياً وأن الإرهاب لايمكن أن يكون مسلماً. وقد وضع عدة أسس للتثاقف حيث قال:

"افتح صدرك للجميع.. افتحه بأكبر ما تستطيع.. ليكن صدرك كالبحر.. لتمتلئ بالإيمان وبمحبة الإنسان.. صفق للأخيار بسبب خيرهم وفضلهم، كن ذا مروءة تجاه المؤمنين.. كن ليّنًا تجاه المنكرين إلى الدرجة التي تذيب معها أحقادهم ونفورهم، وكن دائمًا كالمسيح عليه السلام في سماحته وفي أنفاسه التي تحيي كل شيء.. لا تنس أنك من أتباع رسول مرشد عظيم على علاقة وطيدة مع السماء لصالح البشرية جمعاء[27].

يتضح أنّ كولن يؤمن بعمق بضرورة التثاقف والتبادل والعمل المشترك بين أبناء الأمة الاسلامية والأمة الإنسانية المبني على عدد من الأسس أهمها:الصدق، المحبة، الحرية،التسامح واحترام الاخر. وبهذا فقد دعى الى ضرورة التعارف الثقافي والتعرُّف على وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى الهادف الى بناء مجتمع عالمي يسع الجميع, وجعل المستقبل لصالح حوار الحضارات وليست صراعها.

وكانت أهداف للتثاقف والتواصل الثقافي عند فتح الله كولن هي: تنشئة جيل يؤمن بضرورة الإجماع على القواسم الإنسانية المشتركة، الإجماع وتأسيس الوعي الجمعي، تقوية الرابطة الإنسانية بين أفراد المجتمع_البشري ، منع الظلم والاعتداء ونشر الأمن ، إبراز معالم الدين الاسلامي الصحيحة، القيام بواجب التبليغ والدعوة إلى الحق, تغيير الصورة النمطية للمجتمع المسلم و بناء مجتمع أنساني ورسم صورة جديدة للإنسان المسلم.

---

[26] أحمد صدقي الدجاني ، مرجع سابق ، ص 19.

[27] محمد فتح الله كولن :الموازين أو أضواء على الطريق ، ترجمة أورخان محمد علي. النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2012م ،ص 19.

ولا شك أننا في أمسَّ الحاجة لجعل رؤيته في التثاقف ، برنامج عمل لمؤسساتنا التربوية ونموذجاً للاقتداء به في تفاعلاتنا الاجتماعية وعلاقاتنا الثقافية.ويأتي هنا دور مؤسسات البحث العلمي التي ينبغي أن تتناول هذه الأفكار النيرة التي تسعى لنهضة الأمة على أسس وسطية تتبع منهجاً وسطياً عملياً يعين على مطلوبات الحياة ويرقى بفكر وعقل الانسان.

إنّ غرس ثقافة التواصل في المجتمع يتم عبر تربية الإنسان المسلم داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي أسسها الأستاذ، وهي كثيرة، أهمها: المدارس، المعسكرات، دور النشر، المنتديات الثقافية، وقف الصحفيين والكتاب، جمعيات الحوار ، وغيرها من المؤسسات.

المصادر والمراجع

1. اسحق بن عبد الله السعدي. أصالة الثقافات ومستقبل الثقافة الاسلامية، مجلة حراء عدد 33 ، 2012م استانبول.
2. **جامعة الدول العربية** . مؤتمر دولي حول مستقبل الاصلاح في العالم الإسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، القاهرة 2009م
3. السيد علي شتا. ظاهرية علم الاجتماع الإنساني عند ابن خلدون. المكتبة المصرية ، الإسكندرية، 2001م.
4. ابن عاشور : أ صول النظام الاجتماعي في الإسلام،قراءة وتخريج محمد الطاهر الميساوي ، ط1 دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن،2001م .
5. عبد الله صالح أبوبكر، حوار الحضارات: تحليل نقدي لظاهرة الإسلاموفوبيا.هيئة الاعمال الفكرية، الخرطوم ، الطبعة الأولى 2002م.
6. فريد الأنصاري. رجال ولا كأي رجال.دار النيل،القاهرة، 2013م.
7. محمد أحمد إسماعيل ، المثقفون العرب والتنمية الذاتية ، مجلة الوحدة ، المجلس القومي للثقافة العربية، المغرب ، عدد 66 ، 1990م .
8. محمد فتح الله كولن:

-أسئلة العصر المحيرة، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

-أضواء قرآنية في سماء الوجدان، 2006م.النيل للطباعة والنشر، القاهرة.

- طرق الارشاد في الفكر والحياة.ترجمة احسان قاسم الصالحي. دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 2009م

- الموازين أو أضواء على الطريق ، ترجمة أورخان محمد علي. النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2012م.

- نحن نبني حضارتنا، دار النيل القاهرة 2011م .

9. نوزاد طواش. الحوار الثقافي والحضاري عند الأستاذ محمد فتح الله كولن (ندوة تونس حول النهضة بين فتح الله ومالك بن نبي).

10. Fredrek Maatouk ,Dictionary of sociology. Edited and revised by Mohamad Debs, Academia, lebanon1993